



كلية الآداب
قسم الفلسفة

سجلار كاو بارابان

(١٢٣٥/١٢٤٠-١٢٨٤م)

بين الفلسفة العقلية و السوكولائية القروسطوية

دراسة تحليلية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الباحثة

بالسة إبراهيم عبد اللطيف فنيير

المدرس المساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة بنها

تحت إشراف

الأستاذة الدكتورة

رجاء أحمد علاء

أستاذ الفلسفة الإسلامية

قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة القاهرة

الإستاذ الدكتور

عبد القادر البحراوى

أستاذ الفلسفة الإسلامية

قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة بنها

أكتوبر ٢٠١٧م

المخلص

يعد سيجر دو بارابان Siger of Brabant (١٢٤٠ - ١٢٨٤م) أحد الفلاسفة الأكثر إثارة للجدل في تاريخ العصور الوسطى. و من ثمَّ ، فهناك آراء متضاربة حوله. فيرى البعض أنه كان واحداً من أخطر الزنادقة Heretics الذين أدانهم أسقف باريس في عام ١٢٧٧م. بينما يعتبره آخرون أنه واحداً من أبرز الفلاسفة في القرن الثالث عشر الميلادي.

ويذهب العديد من الباحثين إلى أن سيجر دو بارابان كان زعيم الرشدية اللاتينية Leader of Latin Averroism خلال العقدين السادس و السابع من القرن الثالث عشر الميلادي. و قد تبني مبادئه العديد من أساتذة الآداب المؤثرين في جامعة باريس. و قد أشاد تلميذه المفكر بيير دو بويس Pierre du Bois بتعاليمه الشفوية؛ كما خلد دانتي Dante اسمه في مقاطع من شعر الإطراء في فردوس الكوميديا الإلهية عندما رسمت كلمات القصيدة الثانية و التسعون XCII التي تحمل عنوان فالسينبيانتي Falsenbiantة في ديوان إي فيوري (الزهرة) Il Fiore مصير سيجر دو بارابان Siger de Brabant الذي ظلت رفاته في إيطاليا شاهداً على الاضطهاد غير العادل ضد الفكر و المفكرين في العصور الوسطى.

و لكن ظل سيجر دو بارابان حتي نهايات القرن التاسع عشر الميلادي يحيطه الغموض. فمُنذ حوالي مائة و سبع عشرة عاماً، كان هذا الرمز، لا يزال يحيطه الظل، على الرغم من لمسة عبارات دانتي الرائعة، التي هدفت بكل الإرادة إضاءة هذا الظل لمحوه تدريجياً. و هذا الإبداع في الحركة و الملمس لكلمات دانتي الموجزة عن سيجر، أظهرت حكمة سيجر و نقمة و حسد بعض معاصريه على أفكاره التي أشعلت الجدل الفكري في باريس في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي؛ عندما رافق خلاف رجال اللاهوت في تلك الفترة من تاريخ العصور الوسطي حول اختيار فلسفة وصيفة تتفق على عدم التسامح تجاه معتنقي الفكر الفلسفي الذاتي و ضد الفكر الفلسفي الحر الذي يرفض أي مساواة رشيدة بين المعرفة العقلانية Rational Knowledge ، و الوحي الغير معقول Irrational .Revelation

و كان من الطبيعي أن الجبهة المركزية للنضال العقائدي أن تتحرك تدريجياً في هذا الاتجاه الأمامي، و دفع الخلاف الفقهي الضروس إلى الخلفية؛ و سرعان ما أصبح واضحاً أن سلاح التوماوية Thomist Weapon كان الأكثر ملائمة من سلاح الفرنسييسكان في صراعهم المُحدث مع الهرطقة الفلسفية الجديدة التي ورثت الآراء الفلسفية الوثنية و الإسلامية القادمة من الشرق، و لا تتفق مع تعاليم الكتاب

المقدس المسيحية المقدسة. و من ثم أضحت تعاليم أرسطو مشكلة فكرية كبيرة في القرن الثالث عشر الميلادي، و كان لها بالغ الأثر في الجدل الفلسفي الذي دار بين الأرثوذكسية و البدعية. و قد رمز إلى هذا الصراع اثنين من مفكري العصور الوسطي هما القديس توماس الأكويني، و سيجر دي بارابان؛ فرمز كل منهما إلى واحدة من وجهات النظر المتضاربة في الجدل الفلسفي بين الأرثوذكسية و البدعية.

و قد كان سيجر كان أكثر تبصراً بمناهضة الدوغمائيين في عصره. فكان ثابت الجأش في قضايا المنطقية، التي كانت تسعي ليس فقط لهدم الكبرياء الفكري للدوغمائيين، و لكن كانت هذه القضايا السيجارية تسعي أيضاً لتأييد الفلسفة كنظام فكر حر لمفكر حر. و لكن توماس لم يرض بهذا التمثيل الفكري الذي يسعي إليه سيجر. و سعي بكل الجد لتطوير هذا التمثيل الفكري، الذي سلب فكر سيجر إرادته في التطوير، و أجبره على الخوض في مخاضات هيوليه للدفاع عن فكره و نفسه. و بعبارة أخرى، فعندما اختلف الزميلين توماس الأكويني و سيجر دو بارابان ، وظهر خلافاهما على خط مستقيم بين ردهات الدرس في جامعة باريس؛ أخذ كل منهما يهلم أشلائه، ليجمع فكر الآخر و يدحضه، وكأنه صراع توازن القوى. ففسر توماس الأكويني ابن رشد من خلال فكره اللاهوتي؛ في الوقت

الذي كان يسعى فيه سيجر وبطريقة موضوعية إلى النداء باستقلالية الفلسفة، لكنه كان يفعل ذلك بوضع حدود صارمة ، وبتقييد نطاق صلاحيتها. ومن خلال الحد من نطاق الفلسفة، لأن استقلاليتها مضمونة عنده؛ وقد ذهب سيجر إلى أن التعليق على أرسطو ما هو إلا تجريداً من كل الحقيقة التي كُشفت، و تسوية مجردة لتجربة الإنسان. وهذا يوضح المشروع العام لسيجر، الذي هو بالطبع مشروعاً قابلاً للتحويل إلى قضايا أخرى، مثل النفس البشرية على سبيل المثال.

وربما جرف سيجر حنين الدين، فصاغ فلسفته حول اطار النار المقدسة كعقاب إلهي أوحده؛ ولذا يمكننا القول أن سيجر قد حاول أن يُظهر علمانية صارخة، ولكن ضوء خيوط الدين الخافت في صدره ، كانت تُضئ حيناً ، و تخبو أحياناً؛ لكنها دون شك، كانت تجول في خاطر سيجر بعض الوقت، و ظهرت من حين إلى حين آخر، في قِصَاصته الفلسفية، لاسيما ما يتعلق بهذه الإشكالية.

وربما ظهرت علمانية سيجر على السطح، و ربما قد ظاهرها الدين، و لكن تفسير سيجار للعقاب المقدس قد أبح الكنيسة ضده. و هكذا، نجد في هذا الخلط السيجاري، خليط بين الخير والشر، و بين إساءة استخدام الفلسفة، و استخدام السبب و العقل؛ و التضارب بين الإيمان و الغرور البشري. و قد أُطبِقَ هذا الخلط العديد من صفحات تاريخ الكنيسة في العصور الوسطي، التي أمست

داكنة؛ كما أمدّ هذا الخلط بُذُرَه ذريعة قساوة الكتابات التي سُطِرَت ضد سيجر و السوكولائيين؛ و ذلك عندما غدت أفكار سيجر دو بارابان تخترق حاجز الفكر عند طلاب جامعة باريس لتخرج العلمانية من رحم وهما إلى سُبرانية العالم، ضد إرادة الكنيسة في ذلك الوقت. و لئن حطم سيجر دو بارابان شموع الجهل التي صنعتها الكنيسة في تلك الفترة؛ فإنه أضاء مشكاة الفكر العلماني، ليُحيل ظلام الفكر إلى واحة للعلمانية الحديثة، تُسمى أوربا في مقدمة ركب الثقافة في العصر الحديث. و كان سيجر دو بارابان في الأصلِ سوكلوائيٍّ؛ و من ثم، فربما لم يعلم أيديولوجية الحقائق المزدوجة؛ و ربما حاول الاجتهاد السوكولائي لإيجاد مصالحتات بين الإيمان و العقل في ذلك الحين. و مع ذلك فقد صنّفه المحافظين Conservative من أعضاء الكنيسة الكاثوليكية الرومانية Roman Catholic Church على أنه راديكالي Radical؛ و ذلك بعدما علت أصوات الرشدية اللاتينية في جامعة باريس. فبعد هذا الصوت الرشدي الصاخب تغيرت نزعة تصارع أطراف صراع التيارات الفلسفية في جامعة باريس؛ على الرغم من النضال المميت لرجال اللاهوت الفرنسيين و الدومينيكان الذي لم يتوقف؛ ولكنه شكل جبهة موحدة United Front ضد المناضلين الأيديولوجيين لإعتاق و تحرير الفلسفة من العنف الديني تحت راية الأرسطوطاليسية Aristotelianism. وعلى الرغم من أن

"الدومينيكيين و الفرنسييسكانيين قد أظهروا دعماً متبادلاً بينهم، كما أظهروا توحيد توجهاتهم ضد العلمانية؛ إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوحّدوا مسارات مشاعرهم العقائدية ، و لم تتوحد الرؤى أو المشاعر المجتمعية لديهم في علاقتهم بالمذاهب المتضاربة." فكلاهما، و كل بطريقته، قد شن حملة شرسة على جبهتين: الأولى ضد أي صيغة أرسطية Aristotelianism ؛ و الثانية ضد منتقدي الفلسفة المسيحية الأرثوذكسية من اليمين و اليسار.

و على كل حال، فقد وضعت إيدانة عام ١٢٧٧م حداً لتعاليم سيجر الراديكالية، و ربما وضعت حداً لكل حياته في الحياة الدنيا. لاسيما بعد أن ذهب عقل رجل الدين المرافق لسيجر، و طعنه له حتى الموت، في أورفيتو Orvieto، بين عامي ١٢٨١ و ١٢٨٤م، في عهد البابا مارتن الرابع Martin IV.